مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 | EISSN 2602-6767 | المجلد 08/ العـدد: 01 (2022)، ص 1381- 1395

التراث الثقافي اللامادي بمنطقة ترارة (شمال غرب تلمسان)

دراسة أنثروبولوجية للحكاية الشعبية

The intangible cultural heritage of the Traras region (North West Tlemcen). An anthropological study of folk tales

بن قو فتيحة[1] ، ليتيم زكية[2]

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف-(الجزائر)، F.benkou@univ-chlef.dz

[2] المركز الوطني للبحوث في ما قبل التاريخ علم الانسان و التاريخ، zakia.litim@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/01 تاريخ القبول: 2022/05/05 تاريخ النشر: 2022/06/01

ملخص : في اطار دراسة الخصائص الأنثروبولوجية لقبائل الغرب الجزائري، يختص هذا العمل بدراسة الحكاية الشعبية بمنطقة بني وارسوس المنتمية لجبال ترارة (شمال غرب تلمسان)، بهدف الكشف عن أهم أبعادها الأنثروبولوجية و الاجتماعية، الى جانب التعمّق في أهم الرموز التي تنطوي عليها. حيث توصلنا الى أن الحكاية الشعبية في المنطقة هي صورة معبرة عن مختلف العادات و التقاليد التي يتوارثها أفراد المجتمع و يتناقلونها جيل بعد جيل، فهي ذلك الحكي الذي تنتجه الجماعة معبرة عن آلامها و أحزانها تارة و عن آمالها و أحلامها تارة أخرى. كما أن بيئتهم المتميزة جعلتهم يتحلون بنمط حياتي خاص و المتمثل في ممارسات شعبية متميزة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تحمل الحكاية في طياتها رموزا لفظية و غير لفظية تعكس أحوالهم و التي ساعدت في المحافظة على ثقافتهم الاثنية.

كلمات مفتاحية: الأنثروبولوجيا، التراث اللامادي، الحكاية الشعبية، قبائل ترارة، الدلالات والرموز .

Abstract:

Within the framework of the study of the anthropological properties of the groups of the Algerian West, this work is devoted to the study of the popular story in the région of Beni Ouarso (North West Tlemcen), with the aim of revealing the most important anthropological and social dimensions, in addition to delving into the most important symbols that are involved. We found that the popular story in the region is a representative image of the various customs, traditions that are passed down from generation to generation by members of the community. It is the story that the group produces, expressing its pain and sorrow at times, and its hopes and dreams at other times. As to their environment leaves them with a life-style of distinct folk practices, and contains the many symbols that help preserve their ethnic culture

Keywords: *Anthropology, intangible heritage, folk tale, Tribes of Traras, Beni Ouarsous, semantics and symbols.*

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إن أنثروبولوجية هذه المنطقة و كذا أحداثها التاريخية اضافة الى الطابع البدوي و الأصل الفلاحي خلقوا حياة اجتماعية متميزة، تتمثل في التراث اللامادي و الذي ظل سببا في تلاحم أفرادها و تماسكهم و توادهم و التي لا تزال حتى الآن تلعب دورا هاما في الكثير من الجوانب الحياتية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من تراثها الثقافي .

يقصد بالتراث الشعبي اللامادي كل الممارسات و التصورات و أشكال التعبير و المعارف و المهارات و التي تعتبر من مخلفات البشر المعنوية و الحسية سواء كانت مروية كالألغاز و الأمثال الشعبية و الحكايات و الأهازيج النسوية أو غير مروية كالعادات و التقاليد و الطقوس و المعتقدات و الرقص الشعبي و غيرها. كما أن هذا التراث هو متوارث جيل عن جيل تبدعه الجماعات بما يتفق مع بنيتها و تفاعلاتها مع الطبيعة، فهو يمثل أهم وسيلة للتعبير و التواصل عرفها الانسان منذ القدم و عبّر بها عن حاجاته النفسية و الاجتماعية و الدينية و الاقتصادية من أجل استمراره في الوجود.

ان المصادر الطبيعية و الايكولوجية من خصوبة الأرض و وفرة المياه تحدد نوعية و طبيعة الجماعة، كما أن للموقع الجغرافي و المناخ تأثير في المزاج الفكري لأفراد المجتمع من انفعالات و طبائع و ميول و بالتالي يؤثر في سلوكهم و تصرفاتهم الاجتماعية.

كل هذه العوامل ساعدت في تكوين مخزون ثقافي لمجتمع ترارة (شمال غرب تلمسان) و المتمثل في التراث المادي و اللامادي. و لعل هوية المجتمع التراري هو الان في طريقه الى الزوال و الانكماش بعد تعرضه لمجموعة من الأحداث التاريخية، بحيث أصبحوا يجهلون مصدر ثقافتهم وانحدارهم الاثنولوجي. هذا التغير هو أحد الأسباب التي جعلتني أهتم بعراقة المنطقة و ما تزخر به من مورثات جينية و ثقافية و اجتماعية حاولت

ترجمتها في دراسة الحكاية الشعبية كنموذج للتراث الشعبي المروي بمنطقة بني وارسوس المنتمية لجبال تزارة.

يعتبر مفهوم الحكاية الشعبية بمعناها الواسع و الشامل سرد أحداث واقعية أو خيالية مأخوذة من الواقع في قالب فني حكائي لا ضفاء نوع من المتعة و التشويق.

كما نستطيع القول أنها عبارة عن لحظات نسيان الواقع القاسي عن طريق اللجوء و الهروب الى عالم آخر مليء بالمغامرات يحقق من خلاله الانسان ذاته و رغباته.

كما أنها ذلك التراث القصصي الهائل الذي يجمع بين الأحلام و الواقع، وهو تراث ثمين يحمل معاني و دلالات تعكس معتقدات الانسان التقليدي (**ابراهيم الحيردي، ص 112**).

فالحكاية الشعبية هي عبارة عن سرود و حكي تنتجها الطبقات الشعبية، تستهلكها و تجتر قيمها باستمرار و تتوارثها و تحافظ عليها حتى تضمن لها البقاء و تساعدها على تجاوز قساوة الظروف التي تعيشها.

و عليه سنحاول في هذه الدراسة التعمق في رموز و دلالات الحكاية الشعبية الخرافية للولوج الى المعاني العميقة التي تنطوي عليها باعتبارها من أقدم و أهم أنواع الحكايات في الشعوب القديمة. **فما هي وظيفة هذه الممارسة و أبعادها و رموزها في منطقة بني وارسوس المنتمية لجبال تزارة؟**

2. تقديم منطقة الدراسة (منطقة تزارة)

هي تلك المنطقة المشرفة على البحر الأبيض المتوسط في أقصى الشمال الغربي للجزائر حيث تظهر كقوس جبلي يربط بين البحر الأبيض المتوسط من الشمال و وادي تافنة من الشرق و وادي مويلح من الجنوب و وادي كيس من الغرب **(مصلحة الأرشيف لولاية تلمسان)**

تتميز هذه المنطقة بتضاريس متنوعة تخترقها مجموعة كبيرة من الوديان بالإضافة الى مغارات و كهوف. كما تشكل حزاما جبليا طبيعيا يتكون من جبل فلاوسن على ارتفاع 1136م و جبال تاجرة على ارتفاع 864م المطلة على منطقة هنين و جبال سيدي سفيان على ارتفاع 859م المطلة على كل من قبائل بني خلاد و بني وارسوس. كما تتخللها منحدرات و أودية و هذا ما جعلها تمتاز بأراضي خصبة صالحة للزراعة (بن شو،2005، ص 13).

ان منطقة ترارة هي من بين المناطق الأمازيغية داخل ولاية تلمسان و التي سكنتها القبائل البربرية خاصة على ضفاف وادي تافنة، و هي تنتمي الى قبيلة كبيرة تدعى " الكومية" و هي قبيلة بربرية تكونت من المزارعيين و مربي المواشي و يتكلمون اللهجة الزناتية، امتدت من ندرومة الى رشقون و كما يقول ابن خلدون: " كومية و هم المعروفون بصطفورة أحد مطاية و مضغرة و هم من ولد فاتن" (**ابن خلدون، 1971، ص 36**)

و حسب الباحث كانال (Jean Canal)، قبائل ترارة هي عائلة بربرية تنحدر من ثلاث قبائل كبيرة و هي قبيلة ندرومة و قبيلة الصغارة و قبيلة بني يلول ; و التي تقسمت حاليا و شكلت كل من قبائل بني وارسوس و بني خلاد و بني منير و بني مسهل و ولهاصة يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، غربا مسيردة، شرقا بني صاف و جنوبا زمارة و ولاد رياح (Jean Canal, 1901)

ان الجغرافيين أعطوا لهذه السلسلة اسم " سلسلة جبال ترارة" ، و حسب العقيد الفرنسي (1891) Boitel فان مصدر تسمية ترارة أو طرارة يعود الى سكان الجبال Terras, Terrain, Homme de pied بمعنى" ترارس" أو ترّاس أي الرجل الصلب و الشجاع و هذا راجع للطبيعة و المسالك الوعرة و التي أكسبتهم بنية قوية (**قدور م، 2018، ص 7**)

ان آثار البناء و بقايا العمران بالمنطقة كلها تشهد على أنها منطقة كانت تزخر بالعمارة و العمران و ان كان لم يبق منها الا الحكي و الرواية بالمشافهة نقلا من جيل لآخر لانعدام العناصر التاريخية المكتوبة بسبب ما عرفته المنطقة من أزمات متعددة الجوانب،

فهروب الأهالي البرابرة الى الجبال انقادا لحياتهم و أبنائهم و لثقافتهم من الانسلاخ موزعين الى تلاث فروع كومية فرقة بني يلول و فرقة الصغارة و فرقة الندارمة أفقدهم لهجتهم البربرية كما أصبحت الكراهية و الصراع مع الأجنبي هو سلوكهم الاعتيادي (محمد عثماني، 2002، ص 22)، الا أنه من جانب آخر، زاد ذلك من تمتين الترابط الثقافي و توليد ظواهر أنثروبولوجية مختلفة في جميع الأسر التوارية و يتجلى ذلك في شجاعتهم و قوة ايمانهم و تعاونهم خلال المناسبات المختلفة المتشبعة بالموروث الثقافي البربري و التقاليد التوارية.

كما أن ما تزخر به المنطقة من ينابيع المياه و التربة الخصبة ساعدت الأهالي التوارية خاصة ندرومة و هنين و بني وارسوس على ممارسة العديد من الحرف كصناعة النسيج و الصوف و الأواني الفخارية و صناعة الجلود و الخشب و بعض الأدوات الحرفية التي يستعملها الفلاح في الزراعة (قدور م،2018، ص 136-138).

لقد كانت هذه المنطقة محل العديد من الدراسات الأنثروبولوجية كدراسة روني باسيت " ندرومة و تارة " و شار ل دي موبري **(Charles the Mauprix، 1888، ص353).**

الذي وصف جبال تارة و سكانها وصفا دقيقا ابان الاحتلال الفرنسي، حيث حاول الكشف عن جميع الممارسات الثقافية و الاجتماعية لقبائل تارة و المتمثلة في أن للمجتمع التواري ارتباط شديد بالأرض و الفلاحة و حياة البداوة و هذا ما خلق لهم حياة اجتماعية متميزة تتمثل في تراث ثقافي غني و متنوع لا زالت تحافظ عليه المنطقة و الذي يعد سببا في تلاحمهم و تماسكهم و توادهم.

3. مفهوم التراث الثقافي اللامادي

هو عبارة عن عناصر ثقافية تعبر عن طبيعة الحياة الاجتماعية و الثقافية لمجتمع ما و التي كانت سائدة في فترة من الفترات الماضية.

كما تمثل مجموعة من الممارسات التي ينتجها الانسان في حياته اليومية و هو كل ما يصدر عنه من اشارات و أقوال و أفعال يعبر بها عن شيء من خلال عملياته الاتصالية. أو بعبارة أخرى هو ذلك الابداع المستمر الذي تمارسه الجماعة كنشاط حي و هو أشبه بالتعبير التلقائي الذي يتفجر ليواجه مصاعب و ضرورات الحياة اليومية **(محمد شنب , 2020، ص 12)** كالطقوس و المعتقدات و الشعائر و المعارف و المهارات و الأمثال و الحكم والغناء و الرقص و الحكايات و الأساطير و غيرها من الفنون المروية منها و الغير مروية.

لقد أصبح التراث الشعبي يشكل جانبا مهما من جوانب الثقافة الانسانية التي تعبر عن شخصية الانسان من ماضيه الى حاضره لأنه مستمد من فكر الجماعة و تراثها وعقيدتها.

كما يمثل التراث الشعبي وسيلة من وسائل التعبير التي عبر بها الانسان عن حالاته النفسية و الاجتماعية و الثقافية في حقبة زمنية معينة. و في ذلك يقول الدكتور صبري مسلم " لقد عبر التراث الشعبي عن تفاؤل الانسان الشعبي و ثقته بالحياة ، و صور كذلك احساس الانسان الشعبي بأن لا مناص عن الصراع من قوة الشر و الظلم و ذلك من أجل حماية مكتسباته و انجازه عبر المسيرة الانسانية الطويلة" **(صبري مسلم، 1981، ص 5)**

و تزخر منطقة بني وارسوس المنتمية لجبال ترارة بالعديد من أشكال التراث الشعبي المروي كالحكاية الشعبية و الأمثال و الألغاز و الأغاني الشعبية.

4. الحكاية الشعبية و مميزاتها في منطقة بني وارسوس

ان أنواع الحكاية الشعبية بالمنطقة متعددة و متنوعة منها الخرافية و الاعتقادية و الحيوانية و الأسطورة و غيرها و هي بجميع أصنافها تجسيد للأحداث التاريخية و تصوير للعلاقات الاجتماعية في بيئة معينة حيث يضفي عليها الطابع الخيالي طابعا جماليا **(نبيلة ابراهيم،ص 115)**

كما أن هذا النوع من التراث نجده في الأوساط الريفية المعزولة و المغلقة التي لم تصلها التحولات الاجتماعية و الثقافية.

و تعتبر الحكاية الشعبية الخرافية أو كما تسمى في المنطقة باللغة العربية الدارجة " الحجاية الطويلة " من أقدم أنواع الحكايات الشعبية التي عرفتها الشعوب القديمة و تناقلتها نتيجة للأحداث التاريخية كالاستعمار القديم و كذا الفتوحات الاسلامية و الهجرات الهلالية و غيرها من الأحداث التي عرفتها الجزائر عامة و تلمسان خاصة.

أما محتواها الفكري فيمثل مجموعة من المعتقدات التي تميز المنطقة حيث يعتقدون في كثير من الأشياء لم يأت بها الدين الاسلامي.

يقول دير لاين " ان الحكايات الخرافية هي بقايا معتقدات تصل في تاريخها الى أقدم العصور"، كما يقول موسى سليمان" تدور الحكاية الخرافية على الأخبار التي كان يتداولها العرب فيما بينهم و قد وصلتهم عن أسلافهم شفاهة" **(ديرلاين، 1973، ص 32)**

كما يعرفها الباحث سعيدي محمد بأنها محاولة استرجاع الأحداث بطريقة خاصة ممزوجة بعناصر كالخيال و الخوارق و العجائب ذات طابع جمالي تأثيري نفسيا و اجتماعيا و ثقافيا **(الصيد عبد العالي، 2011)**

كما يقول أيضا التلي بن شيخ " الحكاية الشعبية ترتكز بالدرجة الأولى على الأساطير و الخرافات و عالم السحر و الجان و المعتقدات الغيبية ثم تمزجها بالحديث عن العدالة و الحرية **(التلي بن شيخ، 1990، ص 108)**

ان الحكاية الخرافية عبارة عن سرد خيالي رمزي عفوي شعبي يتضمن شخصيات وأحداث تشير عادة الى ظاهرة طبيعية حيث تعبر عن الاهتمام الروحي للشعب و عن عاداتهم و معتقداتهم و حياتهم البدائية القائمة على التمسك بوحدة الشعب و القبيلة والعائلة الكبيرة ، فهي صورة كلية عن هذا المجتمع و جزء من تراثهم و ثقافتهم لما تعكسه

في وضوح من أحوال سياسية و اجتماعية و اقتصادية و دينية. **(وسى سليمان، 1983، ص 71)**

و من مميزاتها:

- السرد العفوي المتحدد بالاعتماد على شخصيات خيالية و مغامرات غريبة
- وصف الشخصيات بدقة معنويا و ماديا
- تتابع الأحداث مع عناصر التشويق
- الاعتماد على المعنى الرمزي
- بروز شخصية البطل الخرقة للعادة و الغير طبيعية
- تتميز بعناصر القصة وهي البداية و النهاية
- تتميز بالطابع السحري العجيب
- الاهتمام بالألوان و المعادن
- اختفاء الأبعاد الزمانية لأنها تصور أناسا لا يعيشون في زمن معين

5.البعد الأنثروبولوجي للحكاية الخرافية في منطقة بني وارسوس

ان الحكاية الخرافية بمنطقة بني وارسوس تشبه الى حد كبير كل الحكايات المروية بمنطقة ترارة حيث يكون البطل فيها كما سمي باللغة الدارجة " الغول أو الغولة " ، و في الغالب هي شخصية شريرة، غريبة و خارقة تحب أكل لحم بني البشر و لها القدرة على التحول من صورة الى أخرى.

فمثلا في حكاية (نفخ في الفول) التي تحكي قصة الولدان اللذان وقعا في فخ الغولة عندما ذهبا لجني الفول حيث قرّرا الهروب من بيت الغولة و استطاعا بذكائهما معرفة موعد نوم الغولة حيث قالت: (لن أنام حتى تنبح الكلاب، و تعوي الذئاب و تصهل الخيول في بطني) و هو سر تخفيه الغولة لا يعلمه أحد.

كما تصف لنا الحكاية الخرافية أهم الأعمال الضارة التي تلحق الأذى بالإنسان كالاختطاف و الاعتداء و القتل حيث تستمر هذه الأعمال البشعة ضد الحياة الاجتماعية الى أن تبعث القدرة الالهية ببطل يتميز بأحسن الصفات كالشجاعة و الذكاء و القوة فيقوم بإنقاذ الشخص من الغول فتنتهي الحكاية بموت الغول أو ابعاده عن المنطقة كقصة (لونجة) و (مجنية سبعة) و (طوير لخضر) و غيرها.

ان هذا الصنف من الحكايات في المنطقة أوجدته الظروف الطبيعية القاسية ، خاصة في فصل الشتاء مع تهاطل الأمطار الغزيرة على البيوت المبنية بالطين و الحجر و التي تفتقر لأدنى وسائل العيش، كما أن تضاريس المنطقة من مرتفعات و أودية كثيرة و المنحدرة من أعلى جبل سيدي سفيان اتجاه واد تافنة و التي كانت تعرف أنداك جريانا كبيرا و سريعا لا يستطيع الانسان عبورها هذا من جهة ومن جهة أخرى الحالة الاجتماعية و النفسية التي كانت تشهدها المنطقة ابان الاستعمار و بعده من فقر و جوع واستبداد، كل هذه الظروف جعلت من الراوي و المتمثل عادة في الأم أو الجدة تسرد هذه الحكايات على الأطفال و التي تصور أبشع المخلوقات في أشكالها و أعمالها.

و قد اختصت المرأة بسرد هذا النوع من الحكايات دون الرجل متخذة من الحكاية متنفسا من أعباء الحياة و قساوتها التي تتميز بسيطرة الرجل في المجتمع الذكوري.

و المعروف أن المرأة الورسوسية هي امرأة شجاعة و صبورة كما تسمى في المنطقة باللغة الدارجة (فحلة)، فإلى جانب أعمالها الشاقة في البيت المتمثلة في تربية الأطفال و الطبخ و الأعمال التقليدية كغزل الصوف و صناعة الأواني الفخارية و انتاج اللبن و استخراج زيت الزيتون، فهي تساعد زوجها خارج البيت مثل جني المحصول و غيرها من الأعمال الفلاحية الشاقة. و في آخر المطاف تجد نفسها مرهقة فتجمع أولادها أو أحفادها و أحيانا حتى أولاد جيرانها حولها لتلهيهم بحكاياتها حتى يستسلموا للنوم، أما هي فتستسلم بدورها لأحلامها التي تنسيها متاعب يومها الشاقة.

أما الرجل فيقتصر عمله خارج البيت فقط و لما يرجع يحظى بكل الاهتمام من طرف زوجته و ينال أكبر قدر من الطعام بينما الزوجة لا تنال سوى ما تبقى و أحيانا تنام دون طعام.

ان هذا الصراع القائم في المجتمع الذكوري عبرت عنه المرأة أحسن تعبير من خلال حكاياتها كحكاية (مقيدش) و (لونجة) و (عزّة و معزوزة) و (نفخ في الفول) و (طوير لخضر) و غيرها من الحكايات.

تبدأ الرّاوية بسرد الحكاية، حيث تبتدأ بالمقدمة و هي كالعادة " حاجيتك ماجيتك واحد النهار....."[1] حيث تعرّف بشخصيات القصة وتصفها وصفا دقيقا مع ابراز عنصر التشويق.

أما طريقة الالقاء فقد لاحظناه على وجه الحاجة رقية (الحاجة رقية من مواليد 1928، مجاهدة بمنطقة بني وارسوس، تلمسان) وهي تحكي في صمت رهيب اضافة الى الانفعالات و أشكال التعبير البادية على وجهها و التي تعتبر قيمة رمزية اتصالية و إبلاغيه كبيرة حيث تؤثر في المتلقي و تجعله يتابع القصة باهتمام و تمعن، و أحيانا نرى أن الغضب يسيطر على الرّاوية حين تنسى بعض المقاطع فتحاول تذكرها واسترجاعها من جديد فترتسم على وجهها ابتسامة و فرحة يصاحبها تحريك الرأس شوقا و حنينا الى الماضي.

أما المتلقي فهم عادة الاطفال الصغار حيث يجتمعون حول الموقد التقليدي المصنوع من الطين و المسمى "المجمر" في فصل الشتاء للسهرة أو في قلب الفراش عند الاستعداد للنوم فيكوّنون بذلك لمّة تواصلية بامتياز.

تواصل الرّاوية سرد الأحداث بعبارات مرعبة تبعد النوم فيعم القلق و الخوف وسط المستمعين ممّا يجعلهم متلهفين لسماع النهاية، في هذه الأثناء تصل الراوية الى

[1] "حاجيتك ماجيتك وحد النهار..." هي عبارة تعني " يحكى في يوم من الأيام أن...."

النهاية حيث ينجا البطل و يموت الغول الشرير، الأمر الذي يجعلهم ينامون و لا يخافون من سطوة الطبيعة. و هي النهاية المعتادة لكل حكاية حيث يتحقق العدل و الخير و يموت الشر.

و في الأخير تختم الجدة حكايتها بعبارة: (حجايتي مشات مع الطريق الطريق وجبرت مزيودة دالعقيق)[2] أو كما يقال عند بعض المجتمعات المغربية (حجايتي مشات مع الواد الواد و انا بقيت مع الجواد) **(محمد فخر الدين، 2018، ص 169)**، و هذا ما يفسر الرجوع و العودة الى الواقع المعاش و الزمن الحاضر.

و الأمر الغريب في المنطقة أن الحكاية الخرافية أو كما نسميها الحجاية الطويلة تحكى منذ الأزل ليلا عند الاستعداد للنوم اعتقادا منهم أن الذي يحكيها في النهار قد يصاب بالصلع، و عن الباحث عبد الماجيد بورايو في كتابه "الحكاية الخرافية في المغرب العربي" أن الذي يحكي نهارا يصاب بالأذى. **(عبد المجيد بورايو)**

6.البعد الاجتماعي و الثقافي

تشكل الحكاية الشعبية في المنطقة همزة وصل بين أفراد المجتمع انطلاقا من الأسرة الصغيرة فتجمع الأبناء مع الآباء و الأجداد مع الأحفاد الى أن تشمل كل العائلة فتبقى حلقة التواصل مستمرّة الى الأبد.

لقد كانت الحكاية أحسن وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع فهي تعكس ثقافته المتنوعة حيث تجاوزت الطابع الغريزي في الترفيه عن النفس و تحولت الى ممارسة ثقافية لتوطيد العلاقات الاجتماعية ، كما قد ساعدت الحكاية في بناء شخصية الطفل الصغير حيث تعلمه أن يحترم الحدود كما تنبهه من المخاطر و تعده لتحمل مشاكل الحياة المختلفة.

[2] "حجايتي مشات مع الطريق الطريق و جبرت مزيودة دالعقيق": أي حكايتي ذهبت و واصلت السير على طول الطريق فوجدت كيسا من الحلي

فاذا كانت الحكاية تسلي و تمتع و تدهش فان دلالتها الأصلية و العميقة و هدف وجودها خاصة في المجتمعات العربية و الاسلامية هو نقل المعرفة، فهي ترتبط بنظام القرابة و الخصب و بنظام الكون و تناوب الأيام و الليالي و الفصول. **(محمد فخر الدين، 2018، ص 27)**

7.الدلالة السيمائية للحكاية الخرافية

تتضمن الحكاية الشعبية الكثير من الصور و الرموز التي تعبر عن حالة الجماعة والبيئة المحيطة بها و هذا ما يفسر قدرة الانسان على الخلق و الابداع حيث جعل من كل شيء يحيط به رمزا و لكل رمز دلالة.

و كل حكاية تحمل في طياتها رموزا خاصة تمثل ذلك الصراع القائم بين الشر والخير، بين الظالم و المظلوم، بين الذكر و الأنثى، بين الزواج و الطلاق و بين الحياة والموت.

ان أول ما يشد انتباه المتلقي لأي حكاية هو عنوانها لما يتوفر عليه من دلالات ايحائية تعبيرية، فالعنوان يمثل مفتاحا أوليا يكشف عن مضمون الحكاية و يفكك رموزها و شفراتها، كما استخدمت أسماء في الحكاية لها علاقة مباشرة بالطبيعة والبيئة والمحيط الذي عاش فيه الراوي كأسماء الأشخاص و الحيوانات والأماكن.

فجعلوا من الغراب رمزا للشؤم و الموت و الفراق، و الحمامة رمزا للحياة و السلام والنجاة، و الشجرة رمزا للخصب و الثبات في الدنيا، و الحصان رمزا للشجاعة و الشهامة.

كما استعملت الألوان للدلالة على الابداع الجمالي و الادراك الحسي كالأحمر والأخضر، فالأحمر هو رمز للجمال و الحياة أما الأخضر فهو رمز للطيبة، أما الفتاة الجميلة فهي دلالة على الاخصاب و استمرارية الوجود و لكن الغولة أو الساحرة فهي دلالة على العقم و الضرر. كما لا تخلو الحكاية من الأعداد كالعدد السابع (سبع بنات، سبع أولاد،...) و الذي يرمز للسماوات السبع و هو بذلك دلالة خير و غنى و رزق للعائلة. وهذه

بعض عناوين الحكايات المتداولة كثيرا في المنطقة و مضمونها (الحاجة فاطنة من مواليد 1947 قرية سيدي بضياف، بلدية بني وارسوس) .

- **حكاية لونجة:**

المعروفة بعبارة (لونجة يا لونجة دلي سالفك يا لونجة)، و هي فتاة جميلة حسناء لها شعر أسود طويل تم ابعادها عن أهلها بسبب الحقد و الغل من طرف زوجة العم التي كانت تغار منها . ومن هنا أصبح يطلق على كل فتاة حسناء في المنطقة اسم لونجة.

- **مجنية سبعة**

(مجنية) هي البنت أو الأخت، (جنت) أي هجرت، و سبعة هم الاخوة السبعة
مجنية سبعة هي الأخت التي تسبّبت في هجرة اخوتها السبعة دون قصد، وهي حيلة لجأت اليها زوجة العم من أجل أبعاد الاخوة ومن ثم هجرت الأخت للبحث عن اخوتها .

- **طوير لخضر**

الابن المسمى لخضر و الذي قتل من طرف زوجة الأب، اذ أكلت لحمه و لم يبق منه سوى العظام التي تحوّلت الى طائر يتكلم و يروي حكاية الطفل لخضر (أنا طوير لخضر ولي دبحني بويا ومرت بويا كلات لحمي و اختي لعزيزة لمت عظامي ....")
في كل مرة تأتي عنده أخته فتقول له: (عاود عاود يا طوير لخضر). فيقول لها (و الله ما راني معاوده حتى تغمض عينك و تحل فمك)، عندئذ تغمض الفتاة عينيها و تفتح فمها فيضع لها الطائر قطرة عسل في فمها.
و لما أتت عنده زوجة أبيه عندما سمعته ينشد بلحن دافئ كله حزن قالت له: (عاود عاود يا طوير لخضر)، فقال لها (و الله ما راني معاوده حتى تحل فمك و تغمضي عينك)، وعندما أغلقت عينيها و فتحت فمها وضع في فمها ابرة كبيرة جعلتها جثة هامدة.

9.نتائج الدراسة

إن التراث الشعبي المروي بمنطقة ترارة و بالخصوص الحكاية الشعبية الخرافية ليست مجرّد تسلية أو ذكرى يحتفظ بها للتباهي و انما هي ارث عريق تفتخر به كل أمة و تزدهر بفضله.

فقد أوضحت الدراسة ما يلي :

- ✓ ان الحكاية الشعبية بمنطقة بني وارسوس متنوعة بتنوع مواضيعها و هي تعكس صورة صادقة عن قساوة الطبيعة و تاريخها و ثقافتها المتنوعة.
- ✓ أن الحكاية الخرافية تمثل وسيلة اتصالية و تعبيرية بامتياز و التي كانت وما زالت راسخة في أذهان العديد من أبناء المنطقة و لا سيما المسنّون منهم رغم التغيرات والتطورات التي طرأت على المجتمع.
- ✓ وهي تمثل خلاصة التجارب و الخبرات التي توصّل اليها الانسان منذ القدم بعد صراع طويل مع الطبيعة.
- ✓ إن الحكاية الشعبية هي نظام متكامل للتواصل و التداول تحمل بين طياتها دلالات لغوية و غير لغوية كالحركات و الايماءات و نبرة الصوت .....

فكم من جدة ماتت و هي تحمل معها الى مثواها الأخير سردا رائعا و كم من شيخ خطفه الموت و هو يحمل كنزا مليئا بالحكمة و التجربة، فقد كان من الممكن والأجدر بنا الاحتفاظ به للأجيال القادمة أو استثماره لهذا الجيل.

10.قائمة المراجع:

1. Charles the Mauprix. (1888). *six moix chez les Traras ; Tribus berberes de la province d'Oran.*

2. Jean Cana. (s.d.). *Monographie de l'argrandissement de Tlemcen).*

3. ابراهيم الحيردي .(s.d.) .*ابراهيم الحيردي انثروبولوجيا الفون التطبيقية* .

4. ابن خلدون .(1971) .*تاريخ ابن خلدون، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم* . منشورات مؤسسة الاعلام للمطبوعات.

5. بنشو الجيلالي .(2005) .*الخصائص الصوتية للهجة تراة* .وهران :مركز البحث في الأنثروبولوجيا الثقافية و الاجتماعية، منشورات .CRASC

6. التلي بن شيخ .(1990) .*منطلقات التفكير في الأدب الشعبي*، *المؤسسة الوطنية للكتاب* .الجزائر.

7. الصيد عبد العالي .(2011) .*الحكاية الشعبية الخرافية في منطقة خنشلة، جمع ودراسة وظائفية وفق منهج فلاديمير بروب، رسالة ماجستير، جامعة تبسة* .الجزائر.

8. ديرلاين .(1973) .*الحكاية الخرافية، نشأتها ومناهجها، ترجمة نبيلة ابراهيم* .بيروت :دار العلم.

9. صبري مسلم .(1981) .*التراث الشعبي اصداء الحرب* .*مجلة التراث الشعبي، العدد 5، وزارة الثقافة والفنون* .-بغداد.

10. عبد المجيد بورايو .(s.d.) .*الحكاية الخرافية في المغرب العربي* .

11. قدور م .(2018) .*منطقة تراة دراسة تاريخية و حضارية من القرن 5هـ11/م الى القرن 10 هـ16/م ,أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ,جامعة تلمسان* .الجزائر.

12. محمد شنب .(2020) .، .*جمع عناصر التراث الشعبي من كتب الرحالة و المستشرقين في النوبة المصرية، بوركهارت نموذجا* .

13. محمد عثماني .(2002) .*الزواج في منطقة تراة* .*عرش بني مسهل نموذجا* .*دراسة سوسيو أنثروبولوجية* . تلمسان ,كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية :جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.

14. محمد فخر الدين .(2018) .*الحكاية الشعبية المغربية* .دار نشر المعرفة.

15. *مصلحة الأرشيف لولاية تلمسان*.(s.d.) .

16. نبيلة ابراهيم، .(s.d.) .*أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط2، دار الطبع والنشر* .مصر.

17. موسى سليمان .(1983) .*الأدب القصصي عند العرب، دراسة نقدية* .بيروت :دار الكتاب اللبناني.